الشروط الثلاثة لخلاصنا

الميتروبوليت بندلايمون، مطران فاريا وناووسا وكمبانيا

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي» (مرقس ٨:٣٤).

منذ بعد الأيام، احتفلت كنيستنا بعيد رفع الصليب الكريم المحيي؛ واليوم، الأحد بعد عيد الرفع، تذكّرنا قراءة الإنجيل بأهمية الصليب في حياتنا. لأنه على الرغم من أن المسيح صعد على الصليب من أجل خلاصنا وعلى الرغم من أن صليبه هو رمز القوة والرجاء لكل من يؤمن به، إلا أن الإيمان النظري ليس كافياً؛ مطلوب أيضاً دليل عملي على هذا الإيمان. وهذا يكون على النحو الذي يشير إليه المسيح في قراءة إنجيل اليوم، عندما يقول: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي".

كلمات المسيح هذه ليست مجرد دعوة؛ إنها أيضاً تعريف للشروط الثلاثة المطلوبة لنا لإظهار إيماننا واقتناء الخلاص والفداء، وهو ما قدّمه المسيح من خلال موته على الصليب.

الشرط الأول هو إرادتنا الحرة في اختيار هذا الطريق. المسيح واضح. ما من أحد مجبَر على سلوك هذا الطريق. ما من أحد يتعرّض للضغوط ولا أحد مُهدد. " مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي". وحدهم الأشخاص الذين يريدون سلوك الطريق يستطيعون ذلك.

الشرط الثاني هو أن ننكر أنفسنا: " فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ". كلّ ما يربطنا بعاداتنا وأهوائنا، وكل ما يربطنا بالأهواء والدنيويات، كل ما يصعُب علينا الاستغناء عنه، حتى ولو لم يكن سيئاً، حتى ولو لم يكن خاطئاً، لا يتوافق مع قرارنا بالسير وراء المسيح.

غالباً ما نظنُّ نحن البشر أننا قادرون على القيام بكل شيء. نعتقد أنه يمكننا أن نعيش حياتنا كما يروق لنا وكيفما أحببنا، وأن نكون في نفس الوقت أعضاء في الكنيسة ظانّين أننا نحيا حياة مسيحية. لكن المسيح يوضح ذلك: يجب على مَن يتبعونه أن يكونوا مكرّسين له بالكامل. لا يمكننا أن نحيد عن الطريق أو ندعَ أعيننا تشرد، لأننا حينها لا نكون نتبعه؛ لا يمكننا أن "نخدم سيدين". لذلك، إذا أردنا حقاً أن نتبع المسيح، فعلينا، على قدر استطاعتنا، أن ننكر أنفسنا ونغلق آذاننا عن نداءات العالم ونلتصق بالمسيح، الذي لا ينبغي أن ندع نظرنا يحيد عنه ما دمنا على قيد الحياة على هذه الأرض.

بطبيعة الحال، هذا الإنكار الذي يطلبه المسيح منا ليس قراراً أو فِعلاً وقتياً، بل هو صراع علينا خوضه يومياً مدى الحياة. وهو مطلوب إذ بدونه لا يمكننا تحقيق الشرط الآخر، وهو أن نحمل صليبنا.

"وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ". هذا ما يطلبه المسيح من الذين سيتبعونه. لذلك لا يمكننا أن نتبعه إلا إذا حملنا صليبنا. لا يمكننا أن نتبع المسيح بدون صعوبات وجهد، بدون تضحيات ودموع. لا يوجد صليب بدون ألم، ولا يمكن لأي صليب أن يكون خفيفاً. ولهذا جعل المسيح إنكار الذات شرطاً لنا لكي نرفع صليبنا. فقط إذا تحررنا من الأعباء الأخرى نكون قادرين على رفع صليبنا. وإلا فلن نتمكن من تحمّل الثقل، وسننهار ونتخلى عن المحاولة. الهدف هو أن نصل إلى النهاية، أن نصل إلى غايتنا. فلنجتهد إذن، أيها الإخوة والأخوات، لنحقق الشروط التي وضعها المسيح، حتى نحتمل نحن أيضاً صليبنا بالصبر، ونبلغ هدفنا متّحدين به، حتى نتمتع بالحياة الأبدية التي أعطاها لنا من خلال تضحيته على الصليب.

Source: Metropolitan Panteleimon of Veria, Naousa and Kampania. The Three Conditions for our Salvation: Homily on the Sunday after the Elevation of the Honorable Cross. Pemptousia. 20 September 2021. https://pemptousia.com/2021/09/sunday-after-the-elevation-of-the-honorable-cross-the-three-conditions-for-our-salvation/